

الأرض. ونشأت لذلك الفلسفة المادية، وآمن بعض الفلاسفة والعلماء – مثل أرنست هيكل، وبخر وهكسلي وسبنسر – بالتطور الذي حدث في الأحياء، والجمادات كأحسن تفسير للعالم، مع أن التطور لا يخرج عن مجال العلم، ويبين لنا فقط الأدوار التي مرت على الأرض والأحياء، وخلاصة نظرية التطور، أن أصل الأحياء كائنات حية بسيطة، تطورت خلال ملايين السنين إلى أحياء راقية معقدة، وأن السيارات كانت أجراماً غازية ملتهبة، مكونة من عناصر بسيطة ثم بددت وتعدت تركيبها، ولكن التطور نفسه يحتاج إلى تفسير، فما سره، وما غايته ونهايته، وهو لا يوضح أصل الوجود.

في أوائل القرن العشرين بدأت الفلسفة المادية بالتدهور. فقد اكتشفت حقائق علمية كثيرة، زعزعت أسس الفلسفة المادية، وأهمها ما جاءت به النظرية النسبية لأينشتاين عن الزمان والمكان والحركة والطاقة. ونظرية الكم لبلاؤك في النور. إن الفلسفة المادية كانت تؤكد على التركيب الذري للمادة، وعلى تفاعلات المادة ولكن النظرية النسبية، ونظرية الكم ترفعان الحواجز، بين المادة والطاقة.

من صفات المادة المذكورة في الكتب العلمية، أنها تشغل حيزاً من الفراغ ولها كتلة ولها وزن، ولها استمرارية، وكل مادة تتكون من ذرات صغيرة جداً، وتختلف كتل الذرات فيما بينها تبعاً لنوع العنصر الذي تنتسب إليه الذرة، وعدد العناصر 921 أخفها الهيدروجين، وأثقلها اليورانيوم، وتكونت العناصر من اتحاد عدد من ذرات الهيدروجين مع بعضها، فتكون ذرة عنصر جديد.

وذرة الهيدروجين تتألف من بروتون واحد وكترون واحد، يدور حول نواة البروتون وسائر العناصر تتألف من بروتونات ونوترونات في النواة والكتروونات حولها، إن النظرية النسبية تعطي صفات واحدة للمادة والطاقة، فكما أن للمادة كتلة وضغطاً واستمرارية، فإن للطاقة صفات مماثلة، تتحول المادة إلى طاقة وبالعكس فالمادة في الأشعاع تتحول إلى طاقة، والشمس تشع 250 مليون طن من مادتها في الدقيقة الواحدة، وكل جسم تزداد كتلته (مادته) عند زيادة سرعته، والنظرية النسبية تذهب إلى الذرة لا تتحلل إلى اجزائها المعروفة فحسب، بل تتحلل إلى أبعد من ذلك.